

أضواء البيان

@ 203 .

وقوله : { اللّٰهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْكِتَابِ } . . .
ويدل لهذا الوجه قوله تعالى : { وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا
وَعِلْمًا } وقوله : { قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا
نَبِيًّا تَكُنُمَا بَيْتًا وَيَلْبَسَ قَبِيلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَالِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي
رَبِّي } . . .

قال مقيده عفا □ عنه :

الظاهر أن الآيات المذكورة تشمل ذلك كله من تأويل الرؤيا ، وعلوم كتب □ وسنن الأنبياء
والعلم عند □ تعالى . قوله تعالى : { إِذْ قَالَ لُؤْلُؤُا لَيْدُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ
إِلَيَّ أَبِينَا مِنِّي وَزَحْنُ عَصِيَّةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } .
الظاهر أن مراد أولاد يعقوب بهذا الضلال الذي وصفوا به أباهم عليه وعلى نبينا الصلاة
والسلام في هذه الآية الكريمة إنما هو الذهاب عن علم حقيقة الأمر كما ينبغي . . .
ويدل لهذا ورود الضلال بهذا المعنى في القرآن وفي كلام العرب . فمنه بهذا المعنى قوله
تعالى عنهم مخاطبين أباهم : { قَالَ لُؤْلُؤُا تَاللّٰهِ إِنْ زَكَّ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }
وقوله تعالى في نبينا صلى □ عليه وسلم : { وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ } أي لست عالماً
بهذه العلوم التي لا تعرف إلا بالوحي ، فهذاك إليها وعلمكم بما أوحى إليك من هذا القرآن
العظيم . ومنه بهذا المعنى قول الشاعر : { وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ } أي لست عالماً
بهذه العلوم التي لا تعرف إلا بالوحي ، فهذاك إليها وعلمكم بما أوحى إليك من هذا القرآن
العظيم . ومنه بهذا المعنى قول الشاعر : % (وتظن سلمى أنني أبغي بها % بدلا أراها في
الضلال تهيم) % .

يعني : أنها غير عالمة بالحقيقة في ظنها أنه يبغي بها بدلا وهو لا يبغي بها بدلا . . .
وليس مراد أولاد يعقوب الضلال في الدين ، إذ لو أرادوا ذلك لكانوا كفارا ، وإنما
مرادهم أن أباهم في زعمهم في ذهاب عن إدراك الحقيقة ، وإنزال الأمر منزلته اللائقة به ،
حيث أثر اثنين على عشرة ، مع أن العشرة أكثر نفعا له ، وأقدر على القيام بشؤونه
وتدبير أموره . . .

واعلم أن الضلال أطلق في القرآن إطلاقين آخرين :

أحدهما الضلال في الدين ، أي الذهاب عن طريق الحق التي جاءت بها الرسل صلوات □ عليهم

وسلامه . وهذا أشهر معانيه في القرآن . ومنه بهذا المعنى { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } وقوله : { وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَ
وَالِّينَ } ، وقوله : { وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا } إلى غير ذلك من
الآيات . .

الثاني إطلاق الضلال بمعنى الهلاك والغيبة . من قول العرب : ضل السمن في